# مهمة تجديد الأدب العربى

## بين الشباب و بين الشيوخ

### للأستاذ دريني خشبة

سألنى بعض أصدقائى لماذا أومن بالشباب دون الشيوخ ، ولماذا أرجو أن ينهضوا دونهم بعبء إنهاض الأدب العربى ، وسد تلك الثغرات الشائنة فيه ، تلك الثغرات التى تجعل مصر والشعوب العربية جمعاء تعيش فى الماضى وتنجذب إليه أكثر مما تعيش فى الحاضر وتتشوّف إلى المستقبل ...

وأريد أن أصحح لأصدقائى ما وقر فى أذهانهم من أننى لا أومن بأدبائنا الشيوخ ، إذ أنا ، وقد جاوزت حد الأربعين ، أكاد أنحاز إلى معسكرهم ، منفتلاً من معسكر الشباب الذى يعز علىّ أن أفارقه ، ويسرنى أن أعيش فيه بقلبى ونشأتى وأفكارى وجهادى الأدبى المتواضع ... أريد أن أصحح لأصدقائى هؤلاء ما وقر فى أذهانهم من ذلك ، إذ أنا أول من يجل أدباءنا الشيوخ ، وأول من يعرف لهم حقهم الذى لا يمارى فى نهضتنا الفكرية والأدبية ، وفى تبوىء مصر تلك المنزلة الفريدة بين الأمم العربية ... صحيح أننى أغضيت عن ذكر أحد من شعرائنا الشيوخ فى سياق كلامى عن الدرامة المنظومة ... وقد أغضيت كذلك عن ذكر أحد من الشعراء غير المصريين ... أما لماذا أغضيت عن ذكر أحد من شعرائنا الشيوخ فليس سببه عدم الإيمان بهؤلاء الشعراء الأجلاء الأعزاء الذين سبقونا وعبّدوا لنا الطريق وأبانوا معالم النهضة ووصلوا ماضى الأدب العربى بحاضره ... إنما سببه تلك الروح الشؤمية السوداء المنتشرة فى معسكر هؤلاء الشعراء الشيوخ ... فأنت لا تكاد تتحدث إلى واحد منهم عن تخلف الأدب العربى على العموم والشعر العربى على الخصوص فى مسايرة الآداب العالمية ومواكبة ما يجد فيها من مذاهب واتجاهات حتى يعبس وتحس بالضيق الذى يكر به ، ويأخذ فى الشكوى التى لا معنى لها من قلة التقدير فى هذا البلد الذى قضى أن يعيش أدباؤه غرباء فيه ... ثم يضرب لك الأمثال ... فهذا العقاد لم يملك إلى اليوم قصراً ولم يقتن بعدُ ضيعة . وذاك المازنى ما يزال يجالد بقلمه ويجاهد بدمه وبينه وبين شراء عزبة أو اقتناء أبعادية ما بين الأرض والسموات . وهذا أحمد محرم لا تستحيى الدولة من أن تمن عليه بأنها رثت لحالته وأرادت أن تقدره قدره فعينته أميناً لمكتبة دمنهور الأقليمية بهذا الراتب الضئيل النحيل القليل الهزيل من الجنيهات . ثم هذا أحمد الكاشف الذى لا أرى أن أجرح كبرياءه - هكذا يقول محدثى - فأذكر لك كيف يعيش ... ثم ذاك طاهر الجبلاوى الذى يسهر الليالى فى نظم درامته « ديك الجن » ، تلك الدرامة الشائقة التى تعجب بها وزارة المعارف ، ويقرها تفتيش اللغة العربية ، وتكتب عنها إدارة التمثيل التقارير الشافية الوافية ... ماذا كان جزاءه وماذا كانت مكافأته ؟ هل رأت درامته ضوء الشمس ؟ هل نفذت إلى أنوار المسرح ؟ هل أحس بها إنسان ؟ لقد نامت فيمن نام من أهل الكهف ياسيدى ... ثم هذا الشاعر النابغة « رشاد راضى » ناظم درامة « جميل وبثينة » ، ماذا لقى من زمانه وماذا لقى زمانه منه ؟ أتشهد لو أنك قرأت تلك الدرامة أو شهدتها على خشبة المسرح لفضلتها ألف مرة على مجنون ليلى للمرحوم شوقى بك ؟ ! وذاك الشاعر النابه على أحمد باكثير ... لقد سهر المسكين عاماً وعاماً ثم عاماً ثالثاً فنظم درامة السماء أو إخناتون ونفرتيتى ، ودرامة ابراهيم باشا بطل مصر الأول ، ودرامة كذا وكذا وكذا ... وفكر فى الذى تفكر فيه من استحداث الشعر المرسل والشعر الحر فى الشعر العربى ، وابتدع فى ذلك وأبدع ، فهل أحس أحد به ؟ ها هى ذى درامته « السماء » مطبوعة ، وقد قامر بطبعها إبان جنون أزمة غلاء الورق ، فهل تدرى كم نسخة بيعت ؟ وهل سمعت أن المسرح المصرى شهد تلك الدرامة الشائقة الفائقة ؟

وعلى هذا النحو أراد الشيخ أن يأكلنى ويشربنى لينتزع منى إقراراً بالموافقة على وجهة نظره التى تفيض بالشؤم - أقصد

التشاؤم ! ؟ ـ والتي تصدر عن روح كئيبة سادرة لم تعرف كيف تستهزئ بهذا الذى يسميه صاحبها قلة تقدير أو سوء إنصاف يقضيان أن تنحل أوصال الأدب وتفتر أعصاب الأدباء فلا يكون ثمة نشاط ولا يكون هنالك إنتاج ، لأن الحكومة قاتلها الله لا تبيح خزائنها لهؤلاء الأدباء ، ولأن الأمة صنع الله لها لا توليهم رعايتها ، ولأنهم يأمرون فلا يطاعون ، وينشدون فلا يجدون سميعاً ... ألا رحم الله شاعر المعرة الذى اعتذر لقاضى قضاة مصر ، أن يعيش فى دنيا من ذهب ، مؤثراً عيش الكفاف الذى جعل منه شاعر العربية وفيلسوفها الأكبر . ورحم الله دستوفسكى وولتر سكوت وكارل ماركس ، ومئات الأدباء والشعراء الذين كانوا يذوبون جوعاً فى حين تتخم آدابهم وأشعارهم وأفكارهم أدمغة العالم ... إننا ما سمعنا قط أن أحدهم اتخذ من مسغبته حجة للانصراف عن الأدب أو التقاعس عن قرض الشعر ... لقد رجوت محدثى أن يبحث لى عن شاعرنا الكبير عبد الرحمن شكرى أين هو من عالم الشعر ودنيا الأدب ... وهو والحمد لله ـ غير محسود ولا مغبوط ـ فى سعة من الرزق ، ولم يفرض عليه أن يجالد بقلمه أو يجاهد بدمه ليعيش ... أين هو اليوم يا ترى ؟ أين بلبله الصداح وشحروره المغنى ؟ أين قيثاره وأين ناييه وأين موسيقاه ؟ ثم رجوته أن يخبرنى لماذا هجر المازنى الشعر ... فلما عجز عن الإجابة توليتها أنا فأكدت له أنه عز عليه ألا يستحدث جديداً فى الشعر العربى ، وهو أعرف الناس بما عليه الشعر الإنجليزى من سمو وثروة واتساع ويسر ، فغثيت نفسه وضاقت بأوزان الشعر العربى التى لم تتجدد قط مدى ألفين من السنين ، اللهم إلا قليلاً ... ولو أن الأستاذ المازنى احتفظ للشعر العربى بميزته الشخصية التى هى الترجمة لأفاده فائدة جليلة القدر ... إلا أن الكسل قاتله الله صرفه عن ذلك أيضاً ... أما العقاد العظيم فهو سيد شعراء المعانى غير مدافع ، والذين زعموا أنه لا شأن له بالشعر هم قوم قليلو البصر بالشعر ، بل ربما كان الأحسن لا يكون لهم هم شأن بالشعر ... ولو أن العقاد كان يعنى بديباجته وتجويد أسلوبه الشعرى لخر أمامه أولئك النقاد جثياً ... لقد كان لنا فى العقاد أمل ضخم رددناه يوم أصدر ديوانه الضخم المشتمل على ملحمة « الشيطان » ، وكنا ننتظر أن يغزو العقاد للشعر العربى ميادين جديدة فى الملحمة والشعر القصصى والدرامة ... إلا أن العقاد انصرف عن ذلك إلى القصائد والمقطوعات . ولسنا نبالى السبب الذى صرفه عن ذلك ، إنما نبالى أنه أضاع أملنا فيه بعد إذ كان أملنا معقوداً به ... على أننا لا نزال نعلل النفس بالأمانى فى العقاد ، لأننا أعرف الناس بقدرته فى الإنتاج وصبره على الكفاح الأدبى نحو المُثُل العليا ... أما أحمد محرم فلسنا نعرف عن جهوده فى النظم المثالى شيئاً بعد إسلاميته الرائعة الطويلة الجديرة بالإعجاب . ونحن نتوجه إليه بالرجاء أيضاً أن يستيقظ ، إذ هو فى نظرنا فى مقدمة شعرائنا تجويداً وطول نَفَس وتفضيلاً لفخامة العبارة وإشراق الأسلوب .

وبهذه المناسبة أذكر شاعرنا الجارم الشيخ ... ذلك الشاعر الغزل الرقيق ... ماذا صنع فى دنياه غير تلك القصائد التي يوجد من أشباهها الشيء الكثير فى الشعر العباسى والشعر الأندلسى... لعل المعاش الهانئ الذى يتمتع به الشيخ ، بارك الله لنا فيه ، أن يوفر له من الوقت ما يعينه على نظم ملحمة أو قصة وإن كنا نطمع أن ينظم ملاحم وقصصاً كثيرة ...

وأما الشاعر الكاشف فليس لدينا ما نقوله فيه ، ولا نملك إلا الدعاء له بحسن الحال ورغد العيش ... وأما شكوى صديقنا الجبلاوى من تعطيل درامته « ديك الجن » وما كان لهذا التعطيل من نكسة أدبية فى نفسه ، فأنا لا أقر وجهة نظره وأنا بالرغم مما سقته فى مقالاتى عن المسرح المصرى من لوم الوزارة ، لا أرى أن يتكل أدباؤنا على العون الذى يحلمون به من الدولة ، بل أرى أن يثور الأدباء على طريقة الإنتاج الأدبى القديم ـ أدب القصيدة والمقالة والمقطوعة ـ وإغراق السوق الأدبية بأدب القصة والدرامة ـ المنظومة والمنثورة ـ والملحمة والقصة المنظومة ... ثم أنا زعيم للصديق الجبلاوى بأن اليوم الذى يستطيع الأدباء أن يدوّوا بأصواتهم فى آذان الوزارة فتصيخ لهم وتستجيب لندائهم قريب لا ريب فيه ، وإن لم

تستجيب الوزارة طوعاً فثمة وسائل لا حصر لها لإغرائها بالاستجابة . ويجب أن نستعد لهذا اليوم بأن نملأ أيدينا بهذه الألوان من الأدب التي يفتقر إليها الأدب العربي ... وفرصة الأدباء وافية مؤاتية ، فزعيمهم وعميد الأدب العربي لن يملك إلا أن يمد يده لتلك الحركة بالعون والمساعدة ، والعون والمساعدة إنما ينبغي أن ينحصرا أول الأمر في أن تطبع الدولة على نفقتها ثمرات قرائح أدبائها المجددين ثم مكافأتهم ولو في حدود « جهد المقل ! » ... وقبل أن أفرغ من استعراض شعرائنا الشيوخ لا أرى بداً من التنويه بالأستاذ فريد أبي حديد وكيل دار الكتب الآن وناظم مقتل عثمان وغيرها وغيرها ... ، فلقد سألته مرة ماذا أعد لسوق الأدب ، فتبسم ضاحكاً ثم قال مازحاً : « إن صواميله قد نعمت ! وأنا لا رجاء في عودتها للعمل ! » وأنا أسأل الله أن تخشن هذه الصواميل ليعود دولاب أبي حديد إلى المساهمة في ثورة الأدب العربي من جديد

هذا هو موقفنا من شعرائنا الشيوخ صريحاً لا لبس فيه ... أما شعراؤنا الشباب فهم بكل صراحة أملنا ومعقد رجائنا في مستقبل الشعر العربي ... وقد بدأ كثيرون منهم يستجيبون لدعوتنا ... وقد وصلتني « عيّنات » شائقة بالفعل تنبيء بتباشير نهضة رائعة . ولست أذيع سراً إذا بشرت القراء الأعزاء بأن صديقي الشاعر النابه الأستاذ محمود الخفيف قد فرغ بالفعل من نظم ملحمة باكية في مقتل الحسين رضي الله عنه ... ولست أذيع سراً آخر إذا بشرتهم بما بشرني الأستاذ الخفيف من أن الشاعر المبدع علي محمود طه أوشك على الفراغ من نظم درامة رائعة سيفاجئ محبيه بها قريباً

ولا يفهم القراء من هذا الكلام الطويل أنني أقصر نهضة الأدب العربي على ميدان الشعر فحسب ، فهنالك أدب القصة الطويلة الذي لم يستو على سوقه بعد ، وإن ظهر عندنا كتاب مبدعون قدّموا لنا أقاصيص رائعة تبشر بمستقبل باهر لهذا اللون الهام من ألوان الأدب .. والظاهرة التي أحب أن أفتح عيون أدباء الشباب عليها وألفتهم إليها هي أن شيوخ الأدباء عندنا يحتكرون زمام هذا الميدان كله تقريباً ، ولا سيما في القصة التوسطة ... فليُلْقِ شبابنا الأدباء بالهم إلى ذلك ، وليتنبهوا له ، ولتكن منهم فئة يعنون بأدب القصة الطويلة ، حتى إذا آل إليهم زمام الأدب في المستقبل القريب كانت معهم مؤنة تكفي لبناء شهرتهم وتخليد ذكرهم ... وليذكروا كذلك أن معظم روائع الأدب الغربي المترجمة هي من إنتاج الشيوخ دونهم ، وعلى هذا ، فينبغي عليهم أن يساهموا في الترجمة بنصيب

أما الأدباء غير المصريين فإلى مقال قريب إن شاء الله .

دريني خشبة


تقدم محلات شيكوريل الكبرى لحضرات زبائنها الكرام مزيد التهاني بحلول عيد الفطر المبارك أعاده الله على الجميع بخير وسعادة

تتقدم محلات أركو بالقاهرة والاسكندرية لحضرات زبائنها الكرام بعظيم التهاني لمناسبة العيد السعيد أعاده الله على الجميع بالخير والبركات

تقدم محلات تريمود بالاسكندرية لحضرات زبائنها الكرام خالص التهاني بعيد الفطر السعيد أعاد الله أمثاله على الشعب المصري الكريم بكل خير وسعادة